رأي القدس

مكابرة رئاسية في غير مكانها

■ يصر الرئيس الامريكي جورج بوش على المكابرة، من خلال نفيه لما ورد في تقرير الهيئات الاستخبارية الامريكية الذي اكد ان غزو العراق واحتلاله اديا الى تعزيز الارهاب ومضاعفة اخطاره، وذلك بالادعاء ان هناك اسبابا سياسية وراء مثل هذه التسريبات.

الرئيس بوش انتهز المؤتمر الصحافي المشترك الذي عقده امس مع ضيفه حميد كرزاي رئيس افغانستان، لكي يواصل ترديد اقواله السابقة بان غزو العراق ادى الى منع «الارهابيين» من تنفيذ هجمات داخل الاراضي الامريكية.

ولا نعتقد ان الرئيس بوش هو وحده المصيب، بينما تقف 16 وكالة استخبارية امريكية، اتفقت فيما بينها على وضع هذا التقرير بعد دراسات معمقة، في خندق الخطأ.

واذا كان هذا التقرير غير دقيق فان الوقائع على الارض تكذب الرئيس بوش، وتعزز كل كلمة جاءت فيه. فتنظيم «القاعدة» بات اقوى مما كان عليه في السابق واكثر خطورة، واوسع انتشارا.

الحرب الامريكية في افغانستان التي جاءت كرد فعل على احداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) نجحت في توجيه ضربة قاصمة لهذا التنظيم، حيث دمرت بناه التحتية، وشتتت عناصره، فمنهم من قتل ومنهم من جرى اعتقاله وترحيله الى معتقل غوانتانامو في كوبا، والاهم من ذلك جرى حرمانه من الملاذ الآمن الذي كان يتمتع به في تورا بورا بحماية من حكومة الطالبان.

احتلال العراق جاء هدية غالية الثمن بالنسبة الى تنظيم «القاعدة» لانه وفر بيئة اكثر ملاءمة لانشاء قواعد تدريب للمتطوعين القادمين من مختلف انحاء العالم الاسلامي، ومخزونا من السلاح يحتوي على خمسين مليون قطعة من مختلف انواع الاسلحة، وخمسة ملايين طن من الذخائر.

تنظيم «القاعدة» كان قادرا على تنفيذ عملية واحدة في العام على الاكثر، ولكن بعد احتلال العراق بات التنظيم اكثر قوة، ونجح في تنفيذ هجمات دموية في مدريد ولندن واسطنبول والدار البيضاء والرياض وعمان، علاوة على مئات العمليات داخل العراق.

والرئيس بوش محق في قوله ان احتلال العراق منع اعضاء التنظيم من تنفيذ عمليات مشابهة لتلك التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك. فانصار القاعدة لم يعودوا بحاجة الى تنفيذ مثل هذه العمليات لصعوبتها، اولا بسبب الاجراءات الامنية المشددة، وثانيا لوجود حوالي مئة وخمسين الف جندي امريكي في العراق.

فلماذا يخاطر انصار تنظيم القاعدة بانفسهم ويعبرون المحيط الاطلنطي الى الولايات المتحدة، هذا اذا افترضنا اجتيازهم الحواجز الامنية الاوروبية والعربية قبلها بنجاح، لتنفيذ هجمات ضد اهداف امريكية. فالقوات الامريكية ليست بعيدة عنهم، وتشكل صيدا ثمينا بالنسبة اليهم، فمعنوياتها مهزوزة، وتتحرك وسط محيط عربي واسلامي معاد تماما؟

ويكفي الرد على مكابرة الرئيس بوش هذه بالاشارة الى وصايا منفذي هجمات السابع من تموز (يوليو) عام 2005 في لندن، صديق خان وشهزاد تنوير التي تضمنها شريط قدمه الدكتور ايمن الظواهري الرجل الثاني في «القاعدة»، ففي هذه الوصايا اكد منفذو هذه الهجمات انهم كانوا مدفوعين بوازع الانتقام لارواح مئة الف عراقي، قتلوا على ايدي القوات الامريكية الغازية في العراق.

الرئيس بوش وضع بلاده في دائرة اكبر من الاخطار بغزوه العراق، وحربه على الارهاب تنتقل من فشل لتقع في آخر اكبر، رغم نفقاتها المادية (360 مليار دولار) والبشرية (3000 جندي امريكي) الباهظة جدا.

الحرب على إيران تبدأ في سورية ولبنان؟

د. عصام نعمان *

■ نائب الرئيس الإيراني برويز داوودي هدد بأن بلاده ستردّ «بشكل صاعق» على أيّ إعتداء محتمل من الولايات المتحدة أو إسرائيل. رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام اكبر هاشمي رفسنجاني حذّر من ان الأمريكيين «يفكرون بالعدوان من جديد وان إسرائيل ستتعرض لردّ لم تشهده من قبل إذا هاجمت لبنان مجدداً». القائد العام للجيش الإيراني الجنرال عطاء الله صالحي هدد بـ«إلحاق الهزيمة بالعدو» في أي مجال يشن فيه هجوماً على بلاده التي قال إنها ليست بحاجة إلى أسلحة غير تقليدية، كيميائية أو نووية، بفضل قدراتها الناجمة عن إختراع وابتداع وتحسين الأسلحة البحرية والبرية والجوية التقليدية.

تصريحات المسؤولين الإيرانيين الثلاثة جاءت تعقيباً على تحليلات وتسريبات متعددة المصادر تشير إلى مخططات واستعدادات وسيناريوهات أمريكية وإسرائيلية تهدف إلى توجيه ضربات إستباقية، وُصفت بأنها ستكون حاسمة، ضد البنى التحتية لكل من حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في قطاع غزة والضفة الغربية، وضد حزب الله في لبنان، وبالتالي ضد سورية، تمهيداً لشن حرب تدميرية شاملة ضد إيران. وكانت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية قد نقلت عن مصادر إسرائيلية، سياسية وعسكرية، أن تل أبيب تستعد لخوض حرب محتملة ضد سورية وإيران، وان مصادر مطلعة ردّت هذا التطور في التفكير الإستراتيجي لإسرائيل إلى صراعها الأخير مع حزب الله وتداعياته والدروس المستفادة منه. من هذه الدروس خطأ الإنشغال طويلاً بالمنظمات الفلسطينية المسلحة بدلا من التركيز على إيران وسورية من حيث أنهما «اكبر دولتين مصدّرتين للإرهاب في المنطقة وتشكلان خطراً عظيماً على الوجود الإسرائيلي».

الحقيقة ان القيادة العسكرية العليا في إسرائيل كانت تنبهت لهذا «الخطر العظيم» قبل شنّ حربها على لبنان بفترة قصيرة إذ عينت الجنرال اليعيز شكيدي في منصب مهمته متابعة «الجبهة الإيرانية» وبالتالي قيادة أيّة ضربات إستباقية ضد إيران وسورية. وتقول «صنداي تايمز» ان القلق الإسرائيلي انبعث غداة توقيع «معاهدة التعاون الدفاعي» بين سورية وإيران في 15 حزيران (يونيو) الماضي لمواجهة التهديدات الإسرائيلية. كما ألمحت الصحيفة البريطانية إلى ان «البنتاغون» (وزارة الدفاع الأمريكية) لا يكترث للقائلين بأن الحرب على سورية قد تطلق العنان لإرهاب الإسلاميين المتطرفين لأنه «إذا غرقت سورية في الفوضى، فسينشغلون ببعضهم بعضاً بدلاً من الإنشغال بالتطلع نحو القدس». أما رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دان حالوتس فقد أبدى رأيا لافتا: «علينا أن نغيّر المعادلة ونعيد رسم المشهد وننطلق من قاعدة انه إذا أردت أن تُجهز على الأفعى فلا بدّ من أن تسحق رأسها» الرأس هنا هي سورية والذيل هو حزب الله.

ما دوافع الحرب الإستباقية ضد كل هذه القوى والدول؟

يبرر رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود اولمرت، وفق تقرير إستراتيجي إسرائيلي، قرار الحرب بأنه يلبّي حاجة داخلية بقدر ما يلبي حاجة إقليمية وأخرى دولية. الحاجة الداخلية هي إستنقاذ هيبة إسرائيل كقوة رادعة الأمر الذي ينقذ تاليا مستقبله السياسي ويحول دون تفكك حزب «كاديما». الحاجة الإقليمية هي معالجة قلق دول عربية من خطورة الوضع قبل الحرب على لبنان وبعدها. الحاجة الدولية هي مشاركة الولايات المتحدة قلقها ورفضها «للنتائج التي لا تُحتمل الناجمة عن المواجهة الأخيرة في لبنان».

ثمة دافع آخر لشن الحرب. انه إحتمال قوي بأن تفشل المفاوضات الدائرة حول الملف النووي الإيراني الأمر الذي يرجّح لجوء الولايات المتحدة إلى خيار الحرب لمنع إيران من تطوير أسلحة نووية أو تأخير موعد حصولها عليها. إلى ذلك، فأن «تأديب» إيران يساعد إدارة بوش على ترتيب خروج لائق لقواتها من المستنقع العراقي.

هنا يثور سؤالان: لماذا حرب أمريكا المحتملة على إيران تستدعي، بادئ الأمر، حرباً إسرائيلية على منظمات المقاومة في فلسطين ولبنان، بموازاة الحرب على سورية أو بعدها ؟ ثم لماذا تهدد إيران بضرب إسرائيل إذا هاجمت لبنان؟

الحقيقة ان حرب إسرائيل على منظمات المقاومة الفلسطينية، لاسيما على «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، سابقة للحرب الأخيرة على لبنان. التطور المستجد هو ان إعتزام إسرائيل المشاركة في الحرب المحتملة على إيران يضطرها إلى التعجيل في محاولة تقويض المقاومة الفلسطينية بغية الحؤول بينها وبين إستنزاف الجيش الإسرائيلي بعد إندلاع الحرب. هذا فضلاً عن وجود مصلحة لإسرائيل في منع المقاومة الفلسطينية من إستثمار إنتصار حزب الله خلال حربها الأخيرة على لبنان والإستفادة من أي دعم يمكن ان يقدمه لها في صراعها المديد مع الكيان الصهيوني. اما بالنسبة إلى حزب الله فإن عودة إسرائيل إلى الإشتباك معه مردّها إلى سببين: الأول، رغبة إسرائيل في إستعادة هيبتها بعد هزيمتها أمام مجاهدي حزب الله. الثاني، محاولة تدمير قدرات حزب الله للحؤول دون مشاركته عسكريا في دعم سورية عند قيام إسرائيل بشن الحرب عليها، خصوصا إذا أصبح وادي البقاع اللبناني احد محاور الهجوم البري الإسرائيلي المحتمل.

لإيران دافع إستراتيجي واضح للردّ عسكرياً على إسرائيل إذا هاجمت لبنان. ذلك ان الهجوم الإسرائيلي المحتمل على لبنان سيأتي، وفق تقديرها، في سياق هجوم شامل على سورية الأمر الذي يستوجب رداً إيرانيا متكاملاً. حتى لو إقتصر الهجوم الإسرائيلي على قيادات ومواقع ومخابئ أسلحة لحزب الله في لبنان فقط فان صلة ذلك بالهجوم الأوسع المرتقب على سورية لن يغيب عن ذهن القيادة العليا في إيران. وبما ان البلدين مرتبطان بمعاهدة للتعاون الدفاعي فإن أيّ هجوم على لبنان يقتضي، في هذا المنظور الإستراتيجي، إعتباره هجوما على سورية وبالتالي على إيران.

إن جميع التحليلات والسيناريوهات المار ذكرها تبقى حبراً على ورق اذا لم تكن الولايات المتحدة في صدد شنّ حرب على إيران. إحتمال عدم الحرب وارد في حال توصل الدولتين بالمفاوضات الى تسوية مناسبة للملف النووي الإيراني، او إقتناع واشنطن بأن تكلفة الحرب باهظة إلى درجة تحجب مكاسبها المحتملة. مع ذلك تبدو التسوية، في نظري، بعيدة لسبب غير بسيط هو ان إيران أضحت قوة إقليمية مركزية من شأنها تهديد مصالح الغرب الأطلسي، لاسيما الولايات المتحدة، في منطقة مترعة بمنابع النفط والمضائق الإستراتيجية والفرص الإستثمارية حتى لو تخلّت عن الخيار النووي. هذه الحقيقة كافية بحد ذاتها لدفع أمريكا الى محاولة تدمير ايران على نحو يعطل قدراتها الذاتية ودورها الإقليمي. اما بهاظةً تكلفة الحرب فهي إحتمال أكثر حضوراً وإن لم يكن أكيداً وحاسماً.

التخمين الأكثر واقعية هو إفتراض اسوأ الإحتمالات.

* كاتب وسياسي من لبنان

تصريحات البابا بين الجهل والعصبية والأجندة الخفية

د. سعيد الشهابي *

■ ليس معلوما بعد ما اذا كانت الدبلوماسية ام العقل ام المعرفة المحدودة هي التي تجعل من تصريحات الساسة الغربيين تجاه الاسلام أحيانا أخف حدة من تصريحات رجال الكنيسة، وأقل استفزازا. فقد اتسمت تصريحات الساسة الغربيين، برغم سوئها، بقدر من الانضباط، عندما يتحدثون عن العنف المرتبط بالمجموعات الاسلامية. وسواء كان المتحدث جورج بوش ام توني بلير، وهم الأكثر استهدافا للحالة الاسلامية، فان الحديث ينحصر باتهام «المجموعات المتطرفة» او ما يصطلح الآن على تسميته «الاسلام الجهادي» ويندر ان يشنوا هجوما على الاسلام بما هو دين. اما الامر الأخطر فهو عندما يتصدى الرموز الكبار للمسيحية لتوجيه الاتهام للاسلام كدين بانه «دين عنف» وانه هو المسؤول عن تفريخ المجموعات المتطرفة والاعمال الارهابية. القضية هنا تخرج عن اطار التراشقات الاعلامية ذات البعد السياسي المباشر، وتدخل في حيز الصراع الديني الذي هو الأخطر من الخلافات السياسية. فالحروب الصليبية مثلا كانت حملات دينية وعسكرية وسياسية واقتصادية ضد الاديان الاخرى وضد المجموعات المسيحية المخالفة. وقد أدت تلك الحملات لاعادة تشكيل هوية المجتمع الغربي ومهدت الارضية للقضاء على الاقطاع. والأهم من ذلك انها غيرت العلاقة بين المسيحية والاسلام بشكل دائم. وفي افضل حالات الوئام تنطلق دعوات التفاهم والحوار بين المسيحية والاسلام، ولكن الترسبات النفسية التاريخية لدى أهل الكنيسة سرعان ما تفرض نفسها على عقلية قادة الكنيسة، فيطلقون تصريحات تخرج عن الاطر الدبلوماسية وتعكس الرواسب المرتبطة بالخلاف العقيدي والتراكمات الخلافية التاريخية. وبذلك يتحول الخلاف من سياسي الى ديني، وهو النوع الأخطر من الصراعات بين المجموعات البشرية.

ففي الوقت الذي كان الكثيرون يتوقعون ان تلعب الكنيسة دورا في تخفيف حالة الغليان في العلاقات بين العالم الاسلامي والغرب، بادر البابا، بينيديكت السادس عشر، لصب المزيد من الزيت على نار تشتعل بين الطرفين لأسباب كان الاعتقاد سائدا بان اغلبها سياسي. وبدلا من ان يبحث عما هو مشترك بين الاسلام والمسيحية، كما يفعل دعاة التقريب من علماء المسلمين، ركز في حديثه على ثلاثة جوانب خطيرة: اولها التركيز على ان العنف امر ملازم للاسلام، وليس بالمجموعات التي توصف بالتطرف والعنف، مستشهدا بمقطع من حوار دار في القرن الرابع عشر بين امبراطور بيزنطي و«فارسي مثقف». يقول الامبراطور للمثقف: «أرني ما الجديد الذي جاء به محمد. لن تجد الا اشياء شريرة وغير انسانية مثل امره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف». وثانيها انه قلل من دور العقل في العقيدة الاسلامية مشيرا الى «ان الله في العقيدة الاسلامية مطلق السمو ومشيئته ليست مرتبطة باي من مقولاتنا ولا حتى بالعقل». وطرح مقارنة مع الفكر المسيحي المشبع بالفلسفة الاغريقية، موضحا ان هذا الفكر يرفض «عدم العمل بما لا ينسجم مع العقل» وكل ما هو «مخالف للطبيعة الالهية». وثالثها: انه اعتبر المشكلة مع الاسلام مرتبطة بصراع الحضارات، وبالتالي فهو لا يختلف في موقفه هذا عن الاطروحات التي تروج لها التيارات المتطرفة التي تعتقد ان ثمة صراعا حضاريا يحتدم بين الاسلام والغرب. في الستينات والسبعينات كانت الحركات المناوئة للاستعمار الغربية ذات اتجاهات مرتبطة بالقومية العربية تارة، والشيوعية تارة اخرى. اما الآن فقد تصدرت التيارات الاسلامية حركة المعارضة، وأثارت حفيظة المسلمين لانها جاءت من اعلى سلطة في الكنيسة الكاثوليكية التي يمثل اتباعها الغالبية الساحقة من المسيحيين، ويقدر عددهم بأكثر من مليار انسان في اغلب بلدان العالم. جاءت هذه التصريحات برغم ان البابا كان قد جعل الحوار بين الاديان أولوية لديه، فما الذي دفع البابا لاطلاق تصريحاته؟ انه ليس محاضرا في علم اللاهوت لكي يعرض النصوص التاريخية بالشكل الذي يرتئيه، بل هو رمز ديني يتأثر بقوله مئات الملايين من الاتباع، وتنعكس آراؤه على الامن والسلام الدوليين. ويبدو ان البابا لا يدرك ان الانتماء الديني لدى مئات الملايين من البشر ليس مسألة قناعة فكرية بمبادئ مجردة، بل انه جزء من الهوية لديهم. فالمسلم او اليهودي او المسيحي قد لا يمارس ما يمليه دينه عليه، ولكنه يشعر بهوية دينية خاصة يرفض ان يمسها الآخرون. هذه الهوية لا تقل تأثيرا على اصحابها من الهوية القومية والعرقية، وهو امر لا يدركه الكثير من المثقفين. فاذا كان القانون يمنع اثارة النعرات العرقية والاستهزاء بأصول الناس، فان هذا القانون يجب ان يشمل ما يمس الهوية الدينية التي غالبا ما تكون أقوى في تأثيرها من بقية الانتماءات.

لقد كان رد فعل المسلمين ازاء تصريحات البابا غاضبا، وهو أمر متوقع. اما الغريب في الامر فهو ان لا يتوقع الفاتيكان ذلك، خصوصا في الاجواء التي يشعر المسلمون فيها بتصاعد ظاهرة التخويف من الاسلام «اسلاموفوبيا» وهي ظاهرة نوقشت واقترحت حلول بشأنها. تصريحات البابا جاءت على خلفية الرسومات الكاريكاتيرية المسيئة لرسول الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام، التي أججت مشاعر المسلمين في شرق الارض وغربها، وادت الى خروج التظاهرات الكبيرة في اغلب عواصم العالم، سقط فيها عشرات القتلى. فماذا يعني ان يكرر البابا موقفا مماثلا. الجريدة التي اثارت غضب المسلمين كانت غير ذات شأن، فهي محدودة الشهرة والتوزيع، ومع ذلك استثارت مشاعر المسلمين وأحدثت شرخا كبيرا في العلاقات بين المسلمين والغربيين. فكيف سيكون ردة فعل المسلمين عندما ينطق أكبر رمز ديني للمسيحية في العالم، بأسلوب أخطر من الرسومات التي كانت كاريكاتيرية ولا توفر مادة علمية ملموسة ضد الاسلام. بينما يعتبر كلام البابا أكثر أثرا لاسباب عديدة: فهو ينطلق من الفاتيكان، كعبة المسيحيين الكاثوليك الذين هم الأكثر عددا في العالم، وهو يقدم اطروحات فكرية يمكن ان توفر مادة لمن اراد ان يستدل بها لاحقا، وهي خطوة كسرت اعرافا في فن التعامل بين الاديان، وألقت ظلالا من الشكوك على مدى جدية الكنيسة في اطروحة حوار الأديان. الامر الاخطر ان هذا الهجوم البابوي على الاسلام يعيد الى الاذهان تصريحات مماثلة خلال الحروب الصليبية. ففي القرن الثاني عشر، بدأ القديس بيتر ذي فينيرابل «حوارا» مع الاسلام، باصدار كتاب بعنوان: مختصر الكفر الكامل لمذهب السراسنز، تحدث فيه عن «وحشية الاسلام» الذي قال عنه انه فرض نفسه بحد السيف. وطرح على نفسه سؤالا: هل كان محمد رسولا؟ واجاب: «سأكون أسوأ من الحمار لو أقررت بذلك». كان الاسلام في نظره شرا مطلقا، وكان ذلك تبريرا منطقيا للحروب الصليبية. بدأت بعض تلك الحروب بتصفية الجاليات اليهودية في وادي الراين، وأنهوا حملاتهم في 1099 بقتل اكثر من 30 الفا من المسلمين واليهود في القدس.

الأمر الذي ضاعف الخطيئة التي ارتكبها البابا مواقف بعض الزعماء المسيحيين، خصوصا ما قاله أسقف كانتربري السابق، اللورد كيري اوف كلينتون داعما موقف البابا. هذا الرجل الذي كان يوما من الداعين للحوار المسيحي ـ الاسلامي قال بدون تردد ان على المسلمين ان يناقشوا «على وجه السرعة» ارتباط دينهم بالعنف. وقال بوضوح انه يعتقد ان صراع الحضارات الذي يهدد العالم ليس بين المتطرفين الاسلاميين والغرب، بل مع الاسلام كله. واستشهد بكلام صمويل هنتنغتون الذي اعتبر ان له مصاديق قائلا: «ان حدود الاسلام دموية وكذلك مضامينه. فالقضية الاساسية امام الغرب ليست الاصولية الاسلامية. انها الاسلام الذي هو حضارة مختلفة يقتنع اصحابها بتفوق ثقافتهم وهم مسكونون بضعف قوتهم». واضاف ان هناك تخويفا من الغرب يتعمق بشكل مضطرد في العالم الاسلامي. وعبرت ازمة الرسوم عن وجود منظورين للعالم يتصادمان في الفضاء العام بدون مرجعية مشتركة». وذهب الى أبعد من ذلك بتحذيره مما اسماه «ظاهرة التخويف من الغرب Westo-phobia». ان دعوى اسقف كانتربري بهذه اللغة أضاف الى اللغط والازمة ولم يساهم في حلها. بل انه كرس الانطباع في العقل العربي الاسلامي بوجود أجندة غير معلنة تتناغم فيها مشاريع رجال السياسة والاطروحات الفكرية والدينية لدى رجال الكنيسة، وبهذا تتضاعف الازمة. وكان ثمة اعتقاد سائد بوجود اختلاف عميق بين الساسة ورجال الدين المسيحيين حول القضايا الاساسية في المنطقة، خصوصا ازاء «اسرائيل» والحرب ضد العراق. فقد وقفت الكنيسة ضد الحرب باعتبارها «حربا غير عادلة»، وتحركت بعض المؤسسات الكنسية لسحب استثماراتها من الشركات التي تتعامل مع «اسرائيل». ولكن جاءت المواقف الاخيرة من البابا (وما تلاها من دعم من عدد من القساوسة خصوصا اسقف كانتربري السابق) لتزيد الوضع تعقيدا، ولتكرس الشعور بان المشكلة لا تقتصر على الساسة، بل ان هناك تنظيرا دينيا للحملات الموجهة ضد الاسلام والمسلمين، الامر الذي يزيد الامر خطرا.

الملاحظ ان تصريحات البابا جاءت في اجواء جديدة من العلاقات بين زعماء المسيحية واليهودية. فبعد قرار الكنيسة المشيخية في امريكا العام الماضي سحب الاستثمارات من الشركات التي تتعامل مع «اسرائيل»، وجهت الكنيسة الانجليكانية العالمية دعوة لاعضائها لفرض مقاطعة اقتصادية على الشركات التي تساعد الاحتلال الاسرائيلي في المناطق. والقرار الذي يؤيد فرض المقاطعة، اتخذه المجلس الاستشاري للكنيسة، في اجتماعه في نوتنغهام في بريطانيا. واثار القرار، الذي اتخذ بالاجماع من 38 مندوب كنيسة في العالم، ردود فعل عاصفة من جانب الطائفة اليهودية البريطانية. وجاء في وسائل الاعلام في بريطانيا أن القرار لا سابق له في حدته، وانه يضع الكنيسة الانجليكانية في مسار الصدام مع الطائفة اليهودية المحلية. وبرر رئيس الاساقفة الدكتور رامزي وليامز القرار الجديد الذي اتخذه المجمع الكنسي بأنه «يتماشى مع رفض السياسة العدوانية في الاراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك تدمير المنازل وبناء السور العازل». وهي الاسباب ذاتها التي اعتمدتها من قبل الكنيسة المشيخية الامريكية. وقد تمثلت الترجمة العملية الاولى لتوصية المجلس الكنسي الانغليكاني في سحب استثمارات الكنيسة التي تقدر بنحو 2,5 مليون جنيه استرليني في شركة «كاتربيلر» لأن هذه الشركة تقدم لاسرائيل جرافات تستعمل في هدم المنازل وبناء السور العازل.

أدركت الكنائس والمجامع الكنسية في العالم، ان المسيحيين في فلسطين يدفعون ثمناً غالياً جداً بسبب السياسة الاسرائيلية. وان قراهم هدف للتهديم مثل القرى الاسلامية الاخرى. ولعل المثل الاوضح على ذلك هو ما تتعرض له قرية عابور في الضفة الغربية (بين القدس والجليل) التي تعود الاثار المسيحية فيها الى عهد المسيح عليه السلام اي الى نحو 2000 عام. ومن أهم وأبرز هذه الآثار «كنيسة المسيح» الارثوذكسية وهي كنيسة قديمة جداً اقيمت فوق الموقع الذي كان السيد المسيح يلقي مواعظه الى الناس ليهديهم سواء السبيل. وتستعد الجرافات الاسرائيلية لازالة هذا المعلم الديني التاريخي من اجل تكملة بناء الجدار العازل! بل ان القرية بكل آثارها ومبانيها التاريخية تقع في خط هذا الجدار، الامر الذي يعني هدم معظمها وتشريد سكانها الذين يزيد المسيحيون فيهم على النصف تقريباً.

من اجل ذلك دعا رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة الكاردينال ثيودور ماكريك الرئيس الامريكي جورج بوش الى التدخل السريع مع لدى «اسرائيل» لحملها على انقاذ القرية من هذا المصير الاسود. ويبدو ان الرئيس الامريكي الذي هبطت شعبيته الى الحد الادنى (نحو 33 في المئة فقط)، ابدى تجاوباً مع طلب الكاردينال لاستعادة ولو بعض هذه الشعبية. فكلف مستشاره لشؤون الامن القومي ستيفن هادلي العمل على اقناع «اسرائيل» بتحويل خط الجدار العازل بما ينقذ القرية من الدمار. ولكن سرعان ما تحركت مجموعات الضغط للتأثير على القرار الكنسي. وجاء اللقاء بين أسقف كانتربري، الدكتور روان ويليامز مع أكبر حاخامين في «اسرائيل» شلومو أمار ويوناه متزقر مؤخرا ليبدأ حقبة جدية من الحوار المتميز بعد قرون من القطيعة. وقد وصف الدكتور ويليامز الاتفاق بانه «أهم خطوة لتطوير الثقة والتفاهم المتبادل بين الكنيسة الانجليكانية والديانة اليهودية في العالم». هذا التطور في العلاقات بين رموز المسيحية واليهودية يقابله تدهور العلاقات بين الكنيسة والعالم الاسلامي، فالمسلمون شعروا بالأسى لتصريحات البابا، الذي يبدو انه تجاهل ان الحروب الكبرى في العصر الحديث انما حدثت في العالم المسيحي، بما في ذلك الحربان العالميتان اللتان سقط اكثر من خمسين مليون انسان فيهما، وان الكنيسة مارست نشر الدين بحد السيف في الفترة التي استشهد البابا بقول احد قساوستها. اما ممارسة العنف فهي ظاهرة عامة في الشعوب عبر القارات. ولا بد من الاشارة الى موقف الفاتيكان في الثمانينات عندما وقف ضد «لاهوت التحرير» في امريكا اللاتينية، عندما انضم بعض رجال الدين المسيحيين الى حركة النضال الوطني ضد الاستبداد. هذه الحقائق تؤكد ان العنف ليس مختصا بثقافة دون اخرى، وان العنف الذي تمارسه بعض المجموعات باسم الاسلام ما يزال أقل حجما من عنف المجموعات المحسوبة على المسيحية، كما حدث في البوسنة وكوسوفو، ورواندا.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

نقطة الصفر

محمد كريشان

■ ليست وحدها المباحثات مع حركة «حماس» الفلسطينية هي التي عادت إلى نقطة الصفر، على حد تعبير الرئيس محمود عباس، بل مجمل عملية التسوية مع الإسرائيليين ككل. ليس هذا طبعا بالاكتشاف الجديد ولكنه حري بالتأكيد من جديد في ضوء ما روج بعد الحرب على لبنان بأن قطار هذه التسوية قد يتحرك من جديد بعد ما صدئت عجلاته بالوقوف وكذلك في ضوء انفضاض الاجتماع الأخير لمجلس الأمن على مستوى وزراء الخارجية الخاص بالقضية الفلسطينية دون نتائج بل ودون حتى بيان رئاسي عام يعيد على الأقل التأكيد على قرارات المجلس نفسه ذات الصلة.

هذا الشهر مرت الذكرى الثالثة عشرة لتوقيع اتفاقية إعلان المبادئ، المعروفة باتفاقية أوسلو، في حفل شهير في حديقة البيت الأبيض لكن ما من أحد تذكرها رغم السلسلة الطويلة من الاتفاقات المتفرعة منها والتي ما عاد لها وجود منذ أعادت إسرائيل احتلال مناطق السلطة الفلسطينية خاصة في الضفة الغربية بعد الخروج من غزة وتركها عرضة لحملات عسكرية متقطعة. هذا التجاهل يعكس في حقيقة الأمر مناخا عاما من اليأس الكامل من إمكانية حدوث أي اختراق حقيقي بعد كل هذه الوقائع السياسية والميدانية التي تعاقبت منذ اندلاع «انتفاضة الأقصى» في ايلول (سبتمبر) 2000 والتي مرت ذكراها السادسة، هي الأخرى، دون إحياء خاص، وفي ذلك دلالة هامة في ظل الظروف البائسة الحالية في الساحة الفلسطينية. وما يعمق أكثر هذا اليأس حاليا أن لا شيء يمكن أن يؤشر، في المدى القريب على الأقل، إلى أن أطراف هذا النزاع والمعنيين به على حد سواء مهيئون أو جاهزون لتحريك الأمور في اتجاه تفعيل حقيقي لعملية التسوية بغض النظر عن مضمونها وهو ما يتجلى بالخصوص في التالي:

- الإدارة الأمريكية مهمومة بمأزقها المتصاعد في العراق، الذي لا تستطيع مغادرته ولا البقاء فيه كما قال كوفي عنان، إلى جانب التردي المتزايد في أفغانستان. ملفان فيهما من الصداع ومن الإحراج ما يكفي للإدارة الأمريكية بحيث لا تبدو مستعدة لاتخاذ مبادرات على أصعدة أخرى، وهي المهمومة فوق ذلك بالموضوع النووي الإيراني، خاصة وأن انتخابات التجديد النصفي للكونغرس في تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل يفرض الكثير من الحذر، وهي الانتخابات التي لا يبقى بعدها من المدة الرئاسية لبوش ما يجعله قادرا على أي جديد وهو ما سيزداد صعوبة إن فقد غالبيته الجمهورية المتململ بعضها.

- اللجنة الرباعية (الولايات المتحدة، روسيا، الاتحاد الأوروبي، الأمم المتحدة) الخاصة بالتسوية في الشرق الأوسط تبدو بشكل جلي ومتزايد مرهونة بالإيقاع الأمريكي بحيث لم تستطع أن تدفع باتجاه تحريك حقيقي وجدي لخطة خارطة الطريق التي ترعاها رغم ما أبدته أحيانا روسيا والاتحاد الأوروبي مؤخرا من جهود للتميز، بل ونراها تحولت إلى واضع شروط على طرف بعينه دون الآخر. ومع أن المؤتمر الدولي الخاص بالشرق الأوسط الذي طالبت به الأطراف العربية وتحمست له فرنسا بشكل أساسي كان يمكن أن يخلق الديناميكية المطلوبة بعد طول ركود إلا أن لا شيء يدل حتى الآن أن اللجنة مستعدة لتبنيه والعمل لإنجازه.

- إسرائيل غير معنية مطلقا بالتوصل إلى تسوية فهي في النهاية تحقق ما تريده عبر فرض وقائع جديدة على الأرض تجد من يتفهمها لاحقا ويدخلها في اعتباره عند البحث في تفاصيل أي تسوية يجري بحثها. وإذا كان ذلك هو ديدن إسرائيل دائما فإن ما أصيبت به من نكسة حقيقية في عدوانها على لبنان يجعلها أكثر حساسية لأي تحرك قد يسجل بشكل أو بآخر على أنه من باب التنازلات ولهذا سارع الكل الآن إلى الحديث عن أن «خطة الانطواء» في الضفة الغربية قد سحبت من التداول في وقت لا يتردد فيه غلاة المتشددين في التركيز على أن الخروج من غزة لم يجلب لإسرائيل الأمن ولا الانسحاب من جنوب لبنان الذي عادوا إليه بعد 6 سنوات لمحاربة نفس العدو.

- الساحة الفلسطينية منهكة ومشرذمة وما عاد همّ الناس في الضفة الغربية وغزة سوى اللهاث وراء لقمة العيش وسط استياء متزايد من هذه المناكفات بين «فتح» و«حماس» المنذرة بما هو أخطر. ما يوتر الوضع أكثر أن الناس لا ترى في الوقت الحاضر لا عملية سياسية يمكن أن تأتي بشيء مهما كان ضئيلا ولا ترى مقاومة مسلحة قادرة على أن تجبر إسرائيل على تغيير ما في سياساتها أو على الأقل تعطي أملا في هذا الاتجاه وإن كان محدودا.

- الوضع العربي هو حاليا في مستوى غير مسبوق من الضعف والتحلل فضلا عما كشفته حرب لبنان الأخير من استعداد بعض الدول العربية للانتقال من مربع السلبية إلى مربع التواطؤ مما يستحيل معه، للأسف الشديد، الحديث عن قوة عربية رسمية يمكن أن تكون ظهيرا لمفاوض فلسطيني يحاصره العنت الإسرائيلي الأمريكي من كل حدب.

لكل ذلك فإن أقصى ما هو مطلوب من الفلسطينيين الآن هو السعي الدؤوب لتحصين وضعهم الداخلي وتجنب الانجرار إلى متاهات لا طائل منها لأن لا شيء الآن يستحق فعلا أن يختلفوا حوله على أمل أن يظهر يوما ما ضوء حقيقي وليس خادعا في نهاية نفق يزداد طوله يوميا رغم أن الكل يدرك ويكرر أن لا استقرار في هذه المنطقة المضطربة لعقود بغير تسوية عادلة للمسألة الفلسطينية تقوم على الأقل على القرارات الدولية التي ارتضاها العالم كله شريعة المتخاصمين رغم ما يلفها أحيانا من حيف.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St,